كلية الآداب و اللغات الأجنبية و التاريخ

قسم اللغة العربيّة و آدابها

بحث مقدم لنيل درجة الماجيستر فى اللغة العربيّة و آدابها

العنوان

فن الإحتجاج الشيعى

قراءة فى شعر العصر الأموى

الأستاذة المشرفة

الدكتورة رقية رستم پور ملكى

الأستاذة المشرفة المساعدة

الدكتورة إنسية خزعلى

إعداد

سميه جدّى

مهر ه.ش ١٣٩٠/١٤٣٢ه.ق

کلیه دستاورد های ناشی از تحقیق فوق متعلق به دانشگاه الزهراء است.

چکیده

شعر احتجاجی یکی از مهم ترین موضوعات شعری نزد شاعران شیعه بوده است و در دوره اموی با توجه به ظهور حزب ها و جریان های سیاسی حاکم نمود بیشتری پیدا کرد و شاعران شیعه همواره کوشیدند تا با کمک شعر احتجاجی خود به گونه ای به دفاع از حقّ اهل بیت پیامبر(ص) در امر خطیر خلافت بپردازند. در این رساله به بررسی شعر احتجاجی شاعران بزرگ شیعه ی دوره اموی مانند کمیت بن زید اسدی، سیّد حمیری ،و عبدی کوفی پرداخته می شود و در راستای آن به اسناد تاریخی و ادبی برای نمایاندن حقایق نیز تاکید شده است که این شاعران با سلاح شعر خویش به دفاع از حق حضرت علی (ع) و اهل بیت (ع) اقدام نمودند و شعر خود را به سان منبری در راستای حمایت از ایشان قرار دادند.

این پژوهش در ۳ فصل تنظیم شده است : فصل اوّل به بررسی مفهوم احتجاج و انواع مختلف آن، فصل دوم به اوضاع سیا سی دوره اموی و چگونگی شکل گیری شیعه و فصل سوم به بررسی موضوعات شعر احتجاجی شاعران شیعه ی دوره ی اموی در قالب مدح ، هجاء و رثاء می پردازد .

شیوه ی این تحقیق، توصیفی ، تاریخی و تحلیلی است و سعی دارد عوامل موثر بر شکل گیری شعر احتجاجی شاعران شیعه ی عصر اموی و هم چنین مهم ترین موضوعاتی که این شاعران در قالب شعر احتجاجی به آن پرداخته اند را مورد بحث و بررسی قرار دهد .

واژگان کلیدی: احتجاج ، شاعران شیعه، دوره امویان، مدح ، هجاء و رثاء.

الملخص

فـن الإحتجـاج الشـيعى قـراءة فـى شـعر العصـر الأمـوى، عنـوان هـذه الدراسـة و اخترنـا درس هـذا الموضـوع مسـتنيراً بالمسـتندات و الوقـائع التاريخيّـة و الأدبيّـة ليكـون أظهـر شـىء فيـه إبـراز الحقائق و إيضاحها.

و قد جعلنا البحث عن هذا الموضوع موزّعاً على ثلاثة فصول:

١- الفصل الأوّل: الإحتجاج و أنواعه؛

٢- الفصل الثانى: نشأة الشيعة، و الحديث عن الأوضاع السياسيّة فى العصر الأموى؛

٣- الفصـل الثالـث: أغـراض الشـعر الإحتجـاجى لـدى شـعراء الشـيعة، و إنّ فـى شـعرهم أهـمّ الأغـراض الشـعرية يومـذاک، و هـى المـدح ، الهجـاء، و الرثـاء، و كلّهـا ممزوجـة بـالموقف السياسى و الإحتجاجى و الدينى؛

تتضمن أكثر قصـائد شـعراء الشـيعة الإحتجاجيـة الواصـلة إلينـا أحـداثاً سياسـيّة خطيـرة فـى تـاريخ الإسـلام و المسـلمين حيـث أنشـدت معظمهـا فـى سـبيل الـدفاع عـن حـقّ الإمـام علـىّ بـن أبـى طالـب (ع) و أهـل البيـت (ع) فـى أمـر الخلافـة معتمـداً علـى البـراهين العقليـة و المنطقيـة ، الشواهد القرآنيـة ، و الأحاديـث النبويّـة، فيكـون لشـعرهم وقـع و تـأثير أشـدّ مـن وقـع السـيف فـى قلوب النّاس و عقولهم؛ وهذا ما يساعدنا على معرفة أهمية هذه الأشعار الإحتجاجية.

المـنهج الأساسـى المتبـع فـى هـذه الرسـالة هـو المـنهج المتكامـل ضـمن التركيـز علـى المـنهج الوصفى و التاريخى.

لعل من أهمّ الأسئلة التى تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها، ما يلى:

١- ما هى الأغراض الإحتجاجية فى شعر الشيعة خلال العصر الأموى؟

٢- ما هى العوامل التى أثّرت على شعر الشيعة الإحتجاجى؟

الكلمات الأساسية :الإحتجاج، شعراء الشيعة،العصر الأموى، المدح ، الهجاء ، الرثاء.

المقدمة

الحمد لله سابغ النعم، واهب الحكم، والصلاة و السّلام على نبيه الأكرم (ص) و على أهل بيته الطيبين الطاهرين سادات الأمم.

فن الإحتجاج الشيعى قراءة فى شعر العصر الأموى ،الذى هو عنوان بحثى، يبحث من خلال استنباطها للحقائق التاريخية و الأدبية عن ١- الإحتجاج وأنواعه ٢- الشيعة و الأوضاع السياسية فى العصر الأموى ٣-الشعر الإحتجاجى لدى شعراء الشيعة فى العصر الأموى.

كان ظهور الأحزاب السياسية المختلفة فى العصر الأموى نعمة على الأدب و ميداناً فسيحاً للقول، كما كان هذا التحزب مثيراً من عوامل إثارة النهضة الأدبية بما حرّك من عواطف، و من أفكار. و قد أدركت الأحزاب السياسية ما للأدب من وقع فى النفوس و تأثير فى العقلية العربية، فاتخذه كلّ فريق أداة لنشر دعوته ، و تأليف قلوب حوله، فكان لكلّ حزب من الأحزاب ، شعراء و خطباء يقومون بالدعاية له، و ابتدأ ذلك من أوّل يوم اختلفت فيه آراء المسلمين حول الخلافة و الخليفة، لكن نتاجهم لم يظهر إلى وجود أدب يستحقّ الخلود إلّا بعد قتل عثمان بن عفان، و استقلال الجماعات العربية أحزاباً منتظمة، فرأينا فى جانب كلّ حزب، شعراء و خطباء احتجوا لمذهبهم و دافعوا عن عقيدتهم و فكرتهم السياسية أمام الأحزاب الأخرى.

من أهمّ شعراء الشيعة الذين احتجّوا للشيعة و دافعوا عن حقّ الإمام على(ع) و أهل البيت (ع) فى أمر الخلافة هم: الكميت بن زيد الأسدى، السيّد الحميرى، العبدى الكوفى،...و نحن فى هذا البحث بصدد دراسة شعرهم الإحتجاجى.

إنّ المرحلة الزمنية التى تدور هذه الدراسة حولها هى العصر الأموى. فقد وقعت فيها أحداث جسيمة ،أثيرت حولها مسائل و قضايا جوهرية، دينية، و ثقافية عامة، قوبلت بآراء متضاربة و مواقف متباينة، و قد تمّ تخطّى هذه الأحداث و مسألة الخلافة من أبرزها من دون الإتّفاق على رأى حاسم واحد يرضى به الجميع، أو يقرّب، على الأقل، بين مواقفهم المتعارضة حيال ما طُرح.

و لقد زاد إهتمامى بالموضوع أنّه لا توجد دراسة متخصصة لشعر الشيعة الإحتجاجى و ذلك ممّا يؤسف له لمدى تعايش شعراء الشيعة مع أحداث عصرهم و موقفهم من التيارات التى كانت حينذاك ظاهرة على الساحة الإسلامية و لأهم الأغراض الشعرية يومذاك فى أشعارهم، و هى المدح و الهجاء و الرثاء ، و كلّها ممزوجة بالموقف السياسى و الدينى و الوفاء

للتشيّع العلوی، ولكن لم تدرس دراسة جديرة يستحقّها، و لم يتم ذلک البحث الذی يتناسب مع حجمها. لقد استأثر شعر الشيعة باهتمام الكّتاب و الأدباء، إذ قاموا باعداد تأليفات مختلفة تحت عناوين الأدب فی ظل التشيع لعبدالله نعمة ،تاريخ الشعر السياسی لأحمد الشايب،الشعر السياسی من وفاة النبی إلی نهاية العصر الأموی لحبيب يوسف مغنية و...و أشاروا فيها إشارة عابرة إلی موضوع شعر الشيعة الإحتجاجی، إلّا أنهم لم يدرسوها دراسة مستقلة تشمل إطار هذا الموضوع بشكل خاص.

المنهج الأساس المتبع فی هذه الدراسة هو المنهج المتكامل ، ضمن الإعتماد الخاص علی المنهج الوصفی و التاريخی.

لقد حاولنا فی هذه الدراسة من خلال القراءة الموضوعية لشعر شعراء الشيعة خلال العصر الأموی أن ندرس المضامين الإحتجاجية فی شعر هولاء الشعراء، و أسلوبهم فی الإحتجاج و أشرنا إلی الدرجة التی بلغها فی إثارة المخاطبين.

و من الأسئلة التی تطرح فی هذه الدراسة :

١- ما هی أهمّ الأغراض الإحتجاجية فی شعر الشيعة الإحتجاجی؟

٢- ما هی العوامل التی أثّرت علی شعر الشيعة الإحتجاجی؟

جاء البحث فی مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة، فی الفصل الأوّل قدمنا دراسة عامة عن الإحتجاج و أنواعه المختلفة، كما درسنا فی الفصل الثانی الأوضاع السياسية فی العصر الأموی و تحدثنا عن الشيعة و نشأتها ، و أمّا الفصل الثالث قد خصصناه بدراسة الشعر الإحتجاجی لشعراء الشيعة فی العصر الأموی فی إطار الأغراض الشعرية منها المدح، و الهجاء و الرثاء، و ختمنا البحث بالإشارة إلی أبرز النتائج التی توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

و المصادر الأساسية التی ساعدت البحث و إعتمد عليها هی دواوين شعراء الشيعة فی هذا العصر منها هاشميات الكميت، و ديوان السيّد الحميری و كتاب الغدير للعلامة الأمينی و رسالة ماجيستر للطالبة طيبة فرجی تحت عنوان الإحتجاج و أساليبه الأدبية فی القرآن و...

و لا يسعنی فی هذا المجال إلّا أن أحمد الله تبارک و تعالی الذی وفقّنی و أعانی و منح الصبر و لمواصلة هذا الجهد حتّی نهايته رغم العقبات و الصعوبات الكثيرة التی إعترضت مسيرته.

و ختاماً لا أملک هنا إلّا أن أسجّل عرفان الجميل و الشکر الجزیل لأستاذتی المشرفة الدکتورة رقیة رستم بور ملکی علی ما بذلته معی من جهد فی إرشادی و تذلیل الصعوبات التی واجهتنی و شدّ عزیمتی، کما و إنّنی أقدّر بإجلال الجهود الکبیرة التی قدمتها أستاذتی المشرفة المساعدة الدکتورة إنسیة خزعلی راجیة العلیّ القدیر دوام توفیقهما.

والله الموفق و إلیه المستعان

سمیّه جدّی

شوال ۱۴۳۲ه. ق

شهریور ۱۳۹۰ه. ش

الفهرست

چکیده..... أ

الملخص..... ب

المقدمة.....ج

الفصل الأوّل:الإحتجاج وأنواعه

١-تعريف الإحتجاج ٢

٢-أنواع الإحتجاج ٥

الف)الإحتجاج الكلامى ٥

ب)الإحتجاج فى القرآن ٦

ج)الإحتجاج فى الأدب ٨

ج/١)الإحتجاج فى النثر.....٩

ج/٢)الإحتجاج فى الشعر السياسى ١٥

ج/٣)الإحتجاج فى الحديث.....٢٢

الفصل الثانى: نشأة الشيعة و الأوضاع السياسية فى العصر الأموى

القسم الأول:الشيعة ٢٥

١-تعريف الشيعة ٢٥

٢-الآراء فى نشأة الشيعة ٢٦

٣-عقائد الشيعة فى الخلافة ٢٩

القسم الثانى: الأوضاع السياسية فى العصر الأموى ٣٣

١-مسألة الخلافة.....٣٣

٢-الأحزاب السياسية.....٣٨

الف-الحزب الأموی.....۳۹

ب-الحزب الزبیری.....۴۱

ج-حزب الخوارج.....۴۱

د-الشیعۀ.....۴۳

الفصل الثالث: أغراض الشعر الإحتجاجی

المدخل ۴۶

القسم الأول: المدح الإحتجاجی.....۴۹

التمهید.....۴۹

۱-الإستشهاد بالقرآن الکریم.....۵۰

۲-الإستشهاد بالأحادیث النبویّۀ ۶۵

۳-الإحتجاج بالبراهین العقلیّۀ.....۸۰

القسم الثانی: الهجاء الإحتجاجی.....۹۰

التمهید.....۹۰

الف)هجاء أعداء الإمام علیِ(ع) ۹۱

۱- بعد مقتل عثمان.....۹۱

۲- فی حرب الجمل.....۹۴

۳- فی واقعۀ صفین.....۹۸

ب) هجاء قاتل الإمام علیّ (ع) و الخوارج.....۱۰۰

ج)هجاء الأمویین.....۱۰۴

ح) هجاء المرجئۀ.....۱۱۲

د)هجاء السوّار القاضی.....۱۱۳

القسم الثالث: الرثاء الإحتجاجی.....۱۱۷

التمهيد.....١١٧

١- رثاء الإمام علىّ (ع) ١٢١

٢- رثاء الإمام الحسن (ع) .....١٢٦ ٣-رثاء الإمام الحسين (ع)

.....١٢٨

القسم الرابع:أهمّ ميزات شعر الشيعة الإحتجاجى.....١٣٨

١-الإهتمام بالقضايا السياسيّة.....١٣٨

٢-الإلتزام بالدين ١٤٢

٣-الإعتماد على العاطفة الصادقة.....١٤٦

الخاتمة.....١٥١

خلاصه فارسى.....١٥٣

المصادر و المراجع ١٦٩

الفصل الأوّل:الإحتجاج وأنواعه

۱- تعریف الإحتجاج

قبل أن ندخل فی صلب موضوع الأدب الإحتجاجی، یجدر بنا تقدیم لمحة مختصرة حول مفهوم الإحتجاج من الناحیة اللغویة و بعد ذلک، نقوم بایضاح المفاهیم التی ترتبط به و تخالفه.

الف) الإحتجاج فی اللغة:

جاء فی لسان العرب «حجَّه، یحجُّه حجّاً : غلبه علی حُجتّه، و إحتجّ بالشیء: یعنی إتخذه حجّة و أغلبه، والإحتجاج : المغالبة بإظهار الحجة علیه، وهو رجل مِحجاج أی جَدِل» (إبن منظور، ۱۴۰۵ هـ ج ۲، ص ۲۸)

قال فیه الطونجی: «الإحتجاج: الحجة و البرهان. وقیل الحجة: ما دوفع به الخصم. واحتجّ بالشی: اتخذه حجة.» (الطونجی،۱۴۱۴ ه، ج۱، ص ۳۶)

بما أنّ الإحتجاج یعتمد علی الحجج و البراهین؛ ینبغی تحدید معناهما أیضاً.

قال إبن منظور فی معنی الحجة: « الحجّة: البرهان. قیل الحجة: مادوفع به الخصم. و قال الأزهری: الحجة: الوجه الذی یکون به الظفر عند الخصومة» (إبن المنظور،۱۴۰۵ هـ ج ۲، ص ۲۸)۰

فی کثیر من الأحیان نری أن الحجة یطلق علی البرهان و البرهان علی الحجة، لذلک بحثنا عن معنی البرهان، قال فیه إبن منظور: «البُرهان: الحجة الفاصلة البیّنة، یقال: برهن یُبرهن برهنة إذا جاء بحجّة قاطعة للدد الخصم، فهو مبرهن، وقد برهن علیه: أقام الحجة، والبرهان: الحجة و الدلیل» (المصدر السابق ، ج ۱، ص ۵۱)۰ و جاء فی قاموس القرآن: «البرهان: الدلیل الواضح، و هوأحکم الدلائل و الحجج» (القرشی، ۱۳۸۴ ش، ج ۱۰، ص ۱۹۰)۰ و قال فیه حناالغالب: «البرهان: هو بیان الحجة و إیضاحها. و کذلک یقال الإحتجاج و التعلیل و التحقیق. هو إثبات المسألة بالدلیل» (الغالب،۲۰۰۳ م، ص ۳۵۷).

و نری کثیراً من الأحیان یطلق السلطان علی الحجة، و یتضح لنا أنّ الحجة مستعملة فی الإحتجاج، و قیل فیه « السلطان: الحجة و البرهان، و قال الزجاج فی قوله تعالی: «ولقد أرسلنا موسی بآیاتِنا و سلطانٌ مبین» أی و حجة بینة» (إبن منظور، ۱۴۰۵ هـ ج ۵، ص ۳۲۱). و جاء

فـی المعجـم الوسـیط: « السـلطان: الحجـۀ و البرهـان، و القـوۀ و القهـر» (أنـیس و منتصـر، لا.ت، ج ۱، ص ۴۶۹).

و بما أنّ الحکـم یُسـتخدم فـی کثیـر مـن الحجـج؛ علینـا أن نبحـث عـن معنـی هـذه الکلمـۀ. ذکـر فی کتب اللغـۀ هکـذا: «الحکمـۀ: معرفـۀ أفضـل الأشـیاء بأفضـل العلـوم. و العلـم و التفقـه. و فـی التنزیـل العزیز: «و لقـد آتینـا لقمـانَ الحکمـۀَ». و الکـلام الـذی یقـل لفظـه و یجـلّ معنـاه.» (المصـدر نفسـه، ص ۲۱۲). و قیـل فیـه « الحکمـۀ عبـارۀ عـن معرفـۀ أفضـل الأشـیاء بأفضـل العلـوم، و الحُکـم: الحکمـۀ مـن العلم، و الحکم: العلـم و الفقـه و قـال الله تعـالی: «و آتینـاه الحکـمَ صـبیاً» أی علمـاً و فقهـاً ،هـذا لیحیـی بن زکریا» (إبن منظور، ۱۴۰۵ هـ ج ۲، ص ۴۲).

من ملزومات الإحتجـاج – کمـا نعلـم – الجـدل مـع الغیـر، و إن کـان الجـدل أعـم مـن الإحتجـاج، وکثیراً ما نری الجدل بغیر الحجّۀ. جـاء فـی لسـان العـرب :«الجـدل:اللـدد فـی الخصـومۀ و القـدرۀ علیهـا، و قد جاء لـه مجادلـۀ و جـدالاً. و یقـال: جادلـتُ الرجـلَ: فجدلتُـه جـدلاً أی غلبتُـه، و جادلـه: أی خاصـمه مجادلـۀ و جـدالاً، و الجـدل: مقابلـۀ الحجـۀ بالحجـۀ» (المصـدر السـابق، ج ۱، ص ۱۲۸) و قیـل فیـه: «الجـدل: طریقـۀ فـی المناقشـۀ و الإسـتدلال، صـوّرها الفلاسـفۀ بصـور مختلفـۀ و هـو عنـد المناطقـۀ قیـاس مؤلـف مـن مشـهورات أو مسـلمات. جادلـه: ناقشـه و خاصـمه» (أنـیس و منتصـر، لا.ت، ج۱، ص ۱۳۲). و قـال فیـه منـاع القطـان: «الجـدل و الجـدال: المفاوضـۀ علـی سـبیل المنازعـۀ و المغالبـۀ لإلـزام الخصـم. أصـله مـن جـدلت الحبـل: أی أحکمـت فتلـه، فکـأن المتجـادلین یفتـل کـلّ واحـد الآخـر عـن رأیه» (القطان ،۱۴۰۸هـص ۲۷۳).

إن الإنسـان لا ینفـک عـن خـلاف و منازعـات بینـه و بـین غیـره مـن النّـاس، فـی عقائـده و آرائـه من دینیّۀ و سیاسـیّۀ و اجتماعیّـۀ و نحوهـا، فتتـألف بالقیـاس إلـی کـلّ وضـع طائفتـان: طائفـۀ تناصـره و تحافظ علیه، و أخری تریـد نقضـه و هدمـه و ینجـر ذلـک إلـی الجـدال فـی الکـلام، فیلـتمس کـل فریـق الـدلیل و الحجـۀ لتأییـد وجهـۀ نظـره و إفحـام خصـمه أمـام الجمهـور، کمـا أنّ الله تعـالی ذکـره فـی القـرآن علـی أنّـه مـن طبیعـۀ الإنسـان فـی قولـه: «و کـأنَّ الإِنسـانَ أکثـرُ شـیءٍ جَـدلا» [الکهـف:۵۴] (المظفر، ۱۴۰۰ هـ ج ۱، ص ۳۳۲).

هنـاک فـی قـرآن جـدل مقبـول و جـدل مطـرود. و الجـدل المقبـول هـو الـذی أمـر الله تعـالی رسوله أن یجـادل المشـرکین بـالطریق الأحسـن فـی قولـه: « أدع إِلـی سـبیلِ ربِّـک بالحکمـةِ وَ الموعظـةِ الحسـنةِ وَ جـادلهم بـالتی هـی أحسـنُ». [النحـل:۱۲۵] و أبـاح أیضـاً مجادلـة أهـل الکتـاب بتلـک الطریقة: «ولاتجادلوا أهلَ الکتابِ إلاّ بالتی هی أحسن» [العنکبوت:۴۶].

من الجدل المطرود، الجـدل بغیـر علـم فـی قولـه تعـالی: «وَ مِـن النّـاسِ مَـن یُجـادلُ فـی اللهِ بغیـرِ علـمٍ وَ یتبـعُ کـلَّ شـیطانٍ مُریـد» [الحـج:۳] و أیضـاً الجـدل لـدحض الحـقّ فـی قولـه تعـالی: «و جـادلوا بالباطـلِ لِیدحضـوا بـهِ الحـقَّ» [المـؤمن: ۵]. کمـا أنّ الله تعـالی نهـی الرسـول (ص) أن یجـادل الـذین یختـانون أنفسـهم، حیـث یقـول: «و لاتجـادل عـن الـذین یختـانون أنفسَـهم إِنَّ اللهَ لایحـبُّ مَـن کـانَ خواناً أثیما» [النساء:۱۰۷].

ب) الإحتجاج فی الإصطلاح:

و المعنـی الإصـطلاحی للإحتجـاج لا یخلـو مـن المعنـی اللغـوی المـذکور فیـه، جـاء فـی "معجـم الإصـطلاحات المنطقیـة" : «الإحتجـاج هـو الإتیـان بحجّـة بیّنـة لإثبـات عقیـدةٍ مـا، بحیـث تقطـع المعاندة و تبطل عقیدة المخالف» (خوانساری، ۱۳۷۶ ش، ص ۷).

و قـال المظفـر فـی کتابـه «المنطـق» : «الإحتجـاج إتیـان بحجّـة قاطعـة علـی الخصـم لإثبـات المطلوب» (۱۴۰۰ هـ ج ۲، ص ۲۰۱).

۲- أنواع الإحتجاج

الف) الإحتجاج الکلامی:

إذا أراد المنطقیـون إثبـات قضـیة أو إلـزام خصـم أو إبطـال شـبهة فاسـدة، یـوردون الحجـج القاطعة المسلمة علی صحة دعواهم عند المخاطب. وهذا ما یُسمی بالمذهب الکلامی.

الحجـة عنـد المنطقیـین عبـارة عمّـا یتـألف مـن قضـایا یتجـه بهـا إلـی مطلـوب (نتیجـة) و یستحصـل بهـا و انمـا سـمیت حجـة ؛ لأنـه یحـتج بهـا علـی الخصـم لإثبـات المطلـوب، و تسـمی دلـیلاً لانهـا تـدل علـی المطلـوب، و تألیفهـا لأجـل الدلالـة یسـمی اسـتدلالاً. والطـرق العلمیـة للإسـتدلال عنـد

المناطقة و الكلاميين ثلاثة أنواع رئيسية، الأول: القياس: حيث يستخدم فيه الذهن القواعد العامة المسلم بصحتها فى الإنتقال إلى مطلوبه، الثانى: التمثيل: و هوأن ينتقل الذهن من حكم أحد الشيئين إلى الحكم على الآخر، و الثالث: هوأن يدرس الذهن عدة جزئيات فيستنبط منها حكماعاماً. (المظفر، ۱۴۰۰ هـ ج۲، ص ۲۰۱-۲۰۲)

يتضح ممّا مضى أن المتكلمين يعتمدون فى الإحتجاج على المقدمات و النتائج الحاصلة من الإستدلال بأحد الجزأين على الآخر فى قياس التمثيل، و الإستدلال بالكلّى على الجزئى فى قياس الشمول، أو الإستدلال بالجزئى على الكلّى فى قياس الإستقراء.

لعل زعماء الفلسفة أمثال سقراط، أفلاطون و أرسطو هم الذين أسسوا الجدل العقلى فى إلجام خصومهم السوفسطائين و إزالة شبهاتهم، « فى الواقع لم يفعل السوفسطائيون سوى أنهم اعتمدوا على قوة اللجاج على حساب التفكير و الحجة الواضحة، و لم يهتموا بالبحث عن الحقيقة لذاتها بل أنكروها. و جعلوا هممهم منصباً على البحث عن وسائل النجاح فى الحياة اليومية، فوجدوا أن خير طريق الغلبة هى إقناع سامعيهم بأى أسلوب» (شرقاوى، لا.ت، ص ۱۶). و لكن الجدل عند المناطقة هو: «صناعة علمية يقتدر معها – حسب الإمكان – على إقامة الحجة من المقدمات المسلمات على أى مطلوب يراد و على محافظة أى موضوع يتفق، على وجه لاتتوجه عليه مناقضة. (المظفر، ۱۴۰۰ هـ ج۳، ص ۳۳۵)

ب) الإحتجاج فى القرآن:

لقد واجه الإسلام فى نشاطات الأنبياء الرسالية و الدعوة إلى الله تعالى و إلى تعاليمه تحديات و تعارضات عديدة من المخالفين منهم المشركين أو الكافرين، الذين توجهت إليهم الدعوة من

أجل تغيير مفاهيمهم من الكون و الحياة، و من أجل إقناعهم على أساس الحجة و البرهان و إيصالهم إلى الحقّ، و ارتكز الإسلام على العقل مرة، و على الحس مرة أخرى و على الإحساس الفطرى و العاطفة مرات كثيرة؛ ليفسح أمامهم آفاقاً جديدةً، لذلک نجد فى القرآن بعض الآيات الكريمة التى احتجت على هولاء المخالفين لإثبات وحدانية الله تعالى و أيضاً تحويل هولاء عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله تعالى على أساس الحجة و البرهان، و إليک الآن نماذج من الإحتجاج القرآنى على المشركين فى إثبات وحدانيته تعالى حيث يقول:«إِذ قالَ لِأبيه وَ قومِه ما تَعبدونَ (٧٠) قالوا نعبدُ أصناماً فنظلُّ لَها عاكفينَ (٧١) قالَ هَل يَسمعونَكم إِذ تَدعون (٧٢) أو ينفعونَكُم أو يُضرّونَ (٧٣) قالوا بَل وَجَدنا آباءَنا كذلک يَفعلونَ (٧۴) قالَ أفرَأيتم ماكُنتُم تَعبدون (٧۵) أنتُم وَ ءآباؤُكُم الأقدمُونَ (٧۶) فإِنّهم عدوٌّ لى إلّا ربَّ العالمين (٧٧) الذى خَلقَنى فَهُو يَهدين (٧٨) وَ الذى هُو يُطعمُنى وَ يسقين (٧٩) وَ إذا مرضتُ فهُو يشفين (٨٠) وَ الذى يُميتنى ثمّ يحيين (٨١) وَ الذى أطمعُ أن يغفرَ لى خَطيئتى يومَ الدينِ (٨٢)» [الشعراء: ٧٠-٨٢]

ففى هذه الآيات الكريمة نرى إحتجاج النبىّ إبراهيم (ع) على قومه فى عبادتهم الأصنام و استدلاله على إنحطاط الأصنام عن مرتبة الإستحقاق للعبادة. فخاطب النبىُّ قومه متسائلاً عمّا يعبدون، و «قومه إنتقلوا إلى دليل التقليد تفادياً من كلفة النظر و الإستدلال بالمصير إلى الإستدلال بالإقتداء بالسلف» (إبن عاشور، ١۴٢٠هـ ج ٩، ص ١۵١)

و لكن ابراهيم (ع) يواصل قوله حول الأصنام و يلقى على القوم إستفهامات متتالية، لكى يقنعهم بأن ما يعبدونه ليس بشىء، و لايملكون من نفع و من ضرر، و لايسمعون و لايبصرون كما أراد إثارة تفكيرهم للإهتداء إلى معرفة وجه الصواب باستخدام أسلوب الإستفهام، و انتقل النبى من الإستدلال لإثبات عجز آلهتهم، إلى الإستدلال لإثبات وحدانية الله تعالى فى الألوهية، و ذكّرهم بالنعم التى أنعمها الله – عزّوجل – على الخلق، كالهداية و الإطعام، و الإسقاء و الإشفاء، و الإماتة و الإحيا؛ ليقودهم إلى التفكير فى قدرته تعالى و اقتناعهم بفكرة التوحيد.

و فى الآيات التالية نرى كيف يحتج القرآن الكريم على الكافرين الذين سألوا التسامح فى عبادتهم الأوثان:

«قُل یاأیُّها الکـافِرونَ (۱) لاأعبـدُ مـا تَعبـدونَ (۲) وَ لا أنـتم عابـدونَ مـا أعبُـد (۳) وَ لا أنـا عابِـدٌ ماعبـدتُم (۴) وَ لا أنتم عابِدونَ ماأعبُد (۵) لَکُم دینُکُم وَ لی دین (۶)» [الکافرون: ۱-۶]

« روی أن رهطـاً مـن قـریش قـالوا: یـا محمّـد، هلـم فـاتبع دیننـا، و نتبـع دینـک، تعبـد آلهتنـا سـنهٔ و نعبد إلهک سنهٔ، فقال: معاذالله أن أشرک بالله » (الزمخشری، ۱۴۱۵هـ ج ۶، ص ۴۸۸)

و قوله «ولا أناعابـد مـا عبـدتم» أی و ماکنـت قـط عابـداً فـی سـلف ماعبـدتم فیـه یعنـی لـم تعهـد منـی عبـادهٔ صـنم فـی الجاهلیـهٔ، فکیـف ترجـی منّـی فـی الإسـلام. « و لا أنـتم عابـدون مـا أعبـد» أی ماعبدتم فی وقت ما أنا علی عبادته. (المصدر نفسه، ص ۴۸۹)

و یحـتج النبـیّ(ص) أخیـراً بـأنّ لکـم دیـنکم و شـرککم، ولـی دینـی و توحیـدی، لا أکـرهکم علـی قبوله و إن لم تقبلوه منّی فدعونی.

خاطـب القـرآن الکـریم فـی بعـض الآیـات إلـی جانـب إحتجاجـه مـع المشـرکین و الکـافرین، کـلّ مـن آمـن بـالله إیمانـاً مـن الملائکـهٔ و الرسـل و عامـهٔ النـاس، و واجههـم بالأسـالیب المختلفـهٔ فـی الإحتجاج معهم کقولهٔ تعالی: «یـا زَکریّـا إنّـا نُبَشِّـرُک بغـلامٍ اسـمُه یَحیـی لـم نَجعـل لـه مَـن قبـلُ سَـمیّا (۷) قالَ رَبِّ أنی یکونُ لی غلامٌ وکانـت امرأتـی عـاقراً وَ قـد بلغـتُ مِـن الکِبـر عَتیـا (۸) قـالَ کـذلِک قـالَ ربُّک هو علیّ هیّنٌ وَ قد خلقتُک مِن قبلُ وَلم تکُ شَیئاً (۹) » [مریم:۷-۹] .

ففی هذه الآیات المبارکـهٔ نلاحـظ بشـارهٔ الملائکـهٔ زکریـا بالولـد وهـو شـیخ هـرم و کـذلک زوجتـه، و بعد ذلک نری إحتجاجه سبحانه و تعالی معه فی هذا الأمر.

أوحـی الملائکـهٔ خبـر ولادهٔ الإبـن إلـی زکریـا (ع)، الخبـر الـذی أدخـل السـرور فـی نفسـه و لکـن یعرب عـن عجبـه فـی حـال کونـه شـیخاً و کـون زوجتـه عـاقراً، یحـتج سـبحانه و تعـالی معـه و یوجهـه إلـی قدرتـه العظیمـهٔ علـی الخلـق الأوّل کأنّـه تعـالی أراد أن یوضـح لـه بـأنّ الـذی یخلـق الأشـیاء مـن العدم لهو ذاته قادر علی خلق الولد من زوجین هرمین.

إذن یطالعنـا إسـتدلاله سـبحانه و تعـالی علـی زکریـا فـی قدرتـه علـی الخلـق، بـالخلق الأوّل، انـه أسـلوب الحکـیم المـرن الـذی یفـاجیء المخاطـب بالحقیقـهٔ التـی لاینکرهـا. کمـا نـری أن الله سـبحانه و تعالی یحتج فی هذه الآیات إحتجاجاً عقلیّاً ومنطقیّاً علی الناس لیثبت وحدانیته وقدرته.

ج) الإحتجاج فی الأدب:

« الأدب مظهر من مظاهر الکوائن الحیّة الناطقة، بما فیها من أحاسیس و مشاعر و إتجاهات، و معبّر بلیغ بما فی الحیاة التی ینسمها و یعیش فی وسطها من نواح نفسیة عامة و شخصیة إجتماعیة و سیاسیة و بما یحیط بها من أصابیغ و ألوان، تفرضها الظروف السیاسیّة أو الزمنیّة أوالموضعیة، و للأدب أثره المباشر فی توجیه الأفراد و الشعوب و الجماعات، و فی إلهاب العواطف و استخدامها، و هو عامل فعال فی حیویة الأمة الإجتماعیة و السیاسیة، و فی حیوتیها الأخلاقیة و الفکریة أیضاً.» (نعمة، ۱۴۰۰ هـ ص ۸۵-۸۶) و قد یستخدم الأدب لأغراض سیاسیة، یلتمس من ورائها إیقاد ثورة و إلهاب الصدور نقمة و حماساً، و علی هذا الأساس یکون الأدب خیر وسیلة للإحتجاج علی فکرة ما، و الأدیب یدعی دعوی، ثمّ یحاول التماس دلیل مقنع علیها، و یحتلّ هذا الأدب مکانة أولی عند العرب فی مبادیء السیاسة و الحروب و الغزوات، و لا یقوم شیء مقامه أثراً و عملاً. و من یمعن النظر یدرک بأنّ الإحتجاج کان سائداً فی العصور المختلفة الأدبیة. و أمّا نحن فی بحثنا هذا نتطرق إلی دراسة الإحتجاج فی الشعر و النثر خلال العصر الأموی، و بما أنه یکثر الإحتجاج فی أدب الشیعة؛ نلقی الضوء علیه أکثر من غیره.

۱- الإحتجاج فی النثر

قد یکون النثر شریکاً للشعر فی الجانب العقلی، یظهر النثر الإحتجاجی فی قالب الخطابة و الرسالة و الوعظ و الدعاء. والخطیب و الرسالی و الواعظ و الداعی یحتج علی فکرة و عقیدة. و نظراً للخلاف الذی دار بین مختلف الأحزاب خاصة الأمویین و العلویین حول الخلافة، و محاولة کلّ منهم تثبیت وجهة نظره، إقترن نشاطهم السیاسی بنشاطهم الأدبی، و کلّ واحد منهم یدافع عن عقیدتهم بأنّهم أصحاب هذا الملک الذی اغتصبه الآخرون، فلا شک أن تلعب الخطب و الرسائل دوراً هامّاً فی هذا المجال، حیث أصبحت وسیلة إحتجاجیة لدی الأحزاب المختلفة تعبّر عن آرائهم و تدافع عن عقائدهم.

۱/الف) الخطابة:

هناک عوامل مختلفة مهدّت للخطابة العربیة أن تبلغ فی العصر الأموی کلّ ما کان ینتظر لها من نشاط و ازدهار، و من الممکن أن نردّها إلی السیاسة و المحافل و الدین. فأمّا من حیث السیاسة فإن هذاالعصر امتاز بظهور معارضة حادة فیه للدولة الأمویة و هی معارضة کانت تدور علی الخلافة بین الأحزاب المختلفة، و دائماً تلقانا فی صفوف هذه المعارضة خطابة کثیرة، إذ یتمشق الخطباء ألسنتهم فی تصویر مذاهبهم السیاسیة یدعون لها، کما یدعون للإنتقاض علی بنی أمیّة. و کان یلقاهم أنصار الأمویین بخطابة ملتهبة، یصورون فیها خروجهم علی الجماعة و أنهم یضلون الطریق، و کل ذلک هیّأ فی قوة لنشاط الخطابة السیاسیة (السیّد الحسینی، ۱۳۸۱ هـ ش، ص۸).

و ازدهار الخطابة السیاسیة کانت نتیجة حتمیة للخلاف الذی جرّ المعارک الحربیة بین الإمام علیّ (ع) و ابنیه الحسن و الحسین (علیهما السلام)، و بین معاویة و ابنه یزید و غیرهما من الأمویین و الخوارج، و کان ذلک سبباً فی رواجها و انتشارها و الإکثار منها، فقد کانت من الوسائل الضروریة فی مثل هذه المیادین، لکسب المعرکة و الإنتصار، فقد قام کلّ من الفریقین یخطب فی أتباعه محرضاً لهم علی الحرب، و یدعم فی اثناء ذلک رأیه و وجهة نظره مستنداً إلی الأدلة و الحجج الموفورة. و امتازت هذه الخطب بکثرة الإستعانة بالقرآن و الحدیث و الشعر و الأمثال و الإستشهاد بها، کما امتازت و لا سیّما خطب العلویین بقوة الأسلوب و بتفجّر العاطفة و ببراعة التحریض علی الحرب و بإلهاب النقمة علی الخصوم (نعمة، ۱۴۰۰ هـ ص ۱۱۸).

إنبری خطباء کلّ حزب من الأحزاب یدعون إلی نظرة حزبهم و بیان أنّهم علی الحقّ، و خصومهم علی الباطل، و کان یقف خطباء المعارضین للحکم الأموی مؤیداً لأهل البیت (ع) فی حقوقهم التی اکتسبوها عن جدّهم الرسول (ص).

و کان فی أئمة الشیعة و زعمائهم خطباء ملهمون، یتصرفون بآراء الجماعات و هم علی المنابر، ویؤثرون علی روح الجماهیر فیما یرغبون، منهم سیّد الشیعة و إمامهم علیّ بن أبی طالب (ع) و ابناه الحسن و الحسین و أمهما فاطمة (س) و علیّ بن الحسین و زینب بنت علیّ و مالک

الأشتر و... (المصدر نفسه، ص ۱۱۸-۱۱۹) و فی الخطبة التالیة نری کیف إحتج الإمام علیّ (ع) بها فی أمر خلافته، حیث یقول:

« أنشد اللهُ کلَّ امرىءٍ مسلمٍ سمع رسولَ الله (ص) یقول یومَ غدیر خم ما قال، الا قام فشهد بماسمع، و لایقم إلاّ من رآه بعینیه و سمعه بأذنیه، فقام ثلاثون صحابیاً، بینهم اثنا عشر بدریا، فشهدوا أنه أخذه بیده فقال للنّاس: أتعلمون أنی أولی بالمؤمنین من أنفسهم، قالوا: نعم فقال (ص): من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، الحدیث» (الدینوری، ۱۹۰۴م، ص ۲۰).

نلاحظ فی هذه الخطبة کان الإمام علی (ع) یری أنه صاحب الحقّ الشرعی فی الخلافة، قد عهد النبی (ص) إلیه بالأمر من بعده، و توافرت له الدلائل علی ذلک، منها نص یوم الغدیر الذی أعلن الرسول (ص) الخلافة لعلیّ (ع) عند منصرفه من حجة الوداع «فی ذی الحجة، السنة العاشرة من الهجرة، فی مکان معروف بغدیر خم قائلاً: « من کنت مولاه، فعلیّ مولاه، اللهم وال من والاه و عادمن عاداه» (الیعقوبی، ۱۹۷۴ م، ج۲، ص ۱۱۱) و الإمام علیّ (ع) یستشهد بهذه الحادثة فی خطبته لیدافع عن حقه الشرعی فی مسألة خلافة المسلمین. کما یخطب للناس فی موضع آخر إحتجاجاً علی خلافته:

« أنا أحقّ بهذا الأمر منکم، لا أبایعکم و أنتم أولی بالبیعة لی، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم علیهم بالقرابة من النبی (ص) و تأخذونه منّا أهل البیت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنّکم أولی بهذا الأمر منهم لما کان محمّد منکم، فأعطوکم المقادة، و سلموکم الإمارة؟ فأنا أحتج علیکم بمثل ما إحتججتم علی الأنصار، فنحن أولی برسول الله (ص) حیّاً و میتاً، فانصفونا إن کنتم تؤمنون» (المصدر نفسه، ص۱۸).

کان الإمام (ع) یحتج علی قریش فی هذه الخطبة و یستدل بأنّه أقرب إلی الرسول (ص) منهم، فالقرابة فیه أقوی و أکمل، فالعدل یقضی بأن تکون الخلافة لعلیّ (ع)، مادامت القرابة بالنبی (ص) اتخذت سنداً لحیازة میراث الرسول (ص). و یلزم للذکر بأنّ الإمام علیّ (ع) ألقی هذه الخطبة فی ردّ علی خطبة قریش (أبی بکر) الذی یحتج فیها بأحقیة قریش فی أمر الخلافة حیث قال: